

أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الخامسة والأربعون

سفر النبي يوثيل

صديقي المستمع، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن، والمسيح المخلص الآتي.

وكنا قد تأملنا في اللقاء السابق بنبوءات النبي هوشع، الذي تنبأ عن دينونة الله لمملكة إسرائيل في الشمال وشعبها. وتنبأ بدعوة الله للطفل يسوع المسيح من مصر، بعد لجوئه لها هرباً من بطش الملك هيروُدس. وتنبأ النبي هوشع عن خلاص الله الذي سيُعلن لجميع الشعوب وكيف أن الله سيدعو أناساً من كل الأمم لكي يصبحوا من شعبه وأولاده. الأمر الذي تم في كنيسة المسيح.

نتنقل اليوم إلى السفر التالي من أسفار الأنبياء، ألا وهو سفر النبي يوثيل. ويوثيل اسم عبري معناه يهوه هو الله. يظن البعض أنه كان معاصراً للنبي إشعياء، لكن يُرجح أنه تنبأ بعد رجوع اليهود من سبي بابل. كان النبي يوثيل رجلاً مرهف الشعور، متقد الغيرة، وثاب البصيرة. ولغته العبرانية فصيحة بليغة، وأسلوب إنشائه سهل سلس فيه كثير من المجاز. ولا يفوقه أحد من الأنبياء في قوة الوصف ووضوحه. وكان السبب المباشر لنبوءاته، حلول نكبة مزدوجة في البلاد هي الجراد والقحط. وقد وصفها ببلاغة وقوة فائقتين. ودعا الشعب إلى التوبة، ووعدهم بأن تعود الأرض إلى سابق خصبها إذا تابوا توبة حقيقية. وتنبأ النبي يوثيل بانسكاب روح الله القدوس على البشر، مع ما سيرافق ذلك من عجائب وقوات تحصل. وتنبأ أيضاً عن يوم القضاء، و مجيء عصر تعم فيه القداسة ويسود فيه السلام.

وصف النبي يوثيل النكبة التي سيسببها الجراد، في حياة الشعب الزراعية والاقتصادية والدينية، وصفا علمياً دقيقاً. الجراد الذي سيُجلبه الله على الشعب في ذلك الزمان كدينونة له، بسبب ابتعاده عن الله. وصاغ النبي يوثيل عباراته بلغة شعرية أخاذة بليغة، وصف فيها غزوة الجراد، هذه الغزوة التي حدثت في عصره. ويعتقد البعض أن وصف يوثيل هو تعبير مجازي، وأنه رؤياً يتعلق بيوم الرب العظيم القادم.

ولا بأس هنا أن نقتبس بعض الآيات التي وصف فيها النبي يوثيل غزوة الجراد هذه: "الأرض قدامه كجنة عدن وخلفه قفر خرب ولا تكون منه نجاة. كمنظر الخيل منظره ومثل الأفراس يركضون. يتراکضون في المدينة يجرون على السور يصعدون إلى

البيوت ، يدخلون من الكوى كاللصوص. قدامه ترتعد الأرض وترجف السماء. الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها ."
(يوئيل ٢: ٣ و٤، ٩ و١٠)

تكشف لنا هذه الآيات المقدسة عن وصف النبي يوئيل البليغ لغزوة الجراد، الجراد الذي لا يستطيع أحد أن يقف أمامه، والذي يدخل إلى كل مكان، ويأتي بالخراب الكامل على الأرض. وتنبأ يوئيل عن الفترة التي ستلي غزوة الجراد ، إذ يرحل الجراد وتتمو المزروعات وتزدهر الأشجار، وتعود الطبيعة إلى ما كانت عليه من ارتواء. ويحدث انتعاش ديني، ويرسخ إيمان التائبين بالله أكثر من ذي قبل. قال النبي يوئيل: " فتملاً البيادر حنطة وتفيض حياض المعاصر خمرا وزيتا. وأعوض لكم عن السنين التي أكلها الجراد الغوغاء والطيّار والقَمَصُ جيشي العظيم الذي أرسلته عليكم." (يوئيل ٢: ٢٤ و٢٥) وهذا الذي حصل فعلا بعد غزوة الجراد، إذ عرفت البلاد نموا في المحاصيل الزراعية.

لعل السؤال الآن هو: هل تنبأ النبي يوئيل كغيره من الأنبياء القدامى عن خلاص الله وعن عصر المسيح المخلص الآتي؟ كنا قد ذكرنا في بداية هذا اللقاء، أن النبي يوئيل تنبأ عن انسكاب الروح القدس على البشر. وسيوضح لنا بعد قليل مدى علاقة هذه النبوءة بالمخلص المسيح وعصره المجيد. لكن دعونا نعود أولا إلى نص هذه النبوءة. قال النبي يوئيل: "ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى . وعلى العبيد أيضا وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام. وأعطي عجائب في السماء والأرض دما ونارا وأعمدة دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف. ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو." (يوئيل ٢: ٢٨-٣٢) لنلاحظ أن النبي يوئيل انفرد عن غيره من الأنبياء بهذه النبوءة الهامة، التي تحدثت عن انسكاب الروح القدس على البشر. فمتى تمت هذه النبوءة؟ وكيف؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول: لقد أخبر المخلص المسيح تلاميذه أثناء حياته على الأرض، أنه بعد قليل سيتركهم ويمضي إلى السماء. ووعدهم أنه عندما يصعد إلى السماء، سيرسل لهم معزيا آخر يمكث معهم إلى الأبد، وهو روح الحق الذي ينبثق من عند الله الأب. أي روح الله القدوس أو الروح القدس. وبعد أن أتم المخلص المسيح عمل التكفير عن الخطية بموته الفدائي على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات، طلب من تلاميذه أن لا يبرحوا من مدينة أورشليم، بل ينتظروا موعد الأب الروح القدس. وقال لهم: " لأن يوحنا عمّد بالماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير." (سفر أعمال الرسل ١: ٥) والمقصود بيوحنا هنا يوحنا المعمدان (النبي يحيى)، الذي كان يعمّد الناس بمعمودية التوبة، أي يغطّسهم بالماء.

لقد كشف المخلص المسيح لتلاميذه، أنهم سيتعمدون هذه المرة بالروح القدس وليس بالماء. وأن معمودية الروح القدس هذه، أي انسكاب الروح القدس عليهم، ستحصل بعد أيام قليلة. ثم أوضح لهم قائلا: " لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم

وتكونون لي شهودا في اورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض." (أعمال الرسل ١: ٨) أي أكد لهم أن أوضاعهم ستتقلب رأسا على عقب، عندما يحل الروح القدس عليهم. إذ سينالون عندها قوة، وينطلقون بحماس مبشرين برسالة الخلاص المفرحة، ليس في فلسطين فقط، بل إلى كل أنحاء الأرض.

وفعلا، هذا الذي حصل بالضبط تماما، وذلك بعد صعود المخلص المسيح إلى السماء بعشرة أيام، وبعد قيامته من بين الأموات بخمسين يوما. إذ كتب البشير لوقا في سفر أعمال الرسل قائلا: "ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع - أي جميع تلاميذ ومؤمني المسيح - معا بنفس واحدة. وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم أسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. وامتلاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بأسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا." (أعمال الرسل ٢: ١-٤)

واستغرب سكان مدينة اورشليم والزائرين ما حصل للتلاميذ الأوائل. وعندها وقف الرسول بطرس مخاطبا المحتشدين، وموضحا أن الذي حدث هو إتمام لنبوذة النبي يوثيل، عن انسكاب الروح القدس على البشر. ثم اقتبس الرسول بطرس نبوءة يوثيل بحذافيرها وأنه: "يكون كل من يدعو باسم الرب يخلص." ووجه دعوته للسامعين، لكي يتوبوا ويؤمنوا بالمسيح، ويقبلوا عطية الروح القدس، فأمن منهم حالا ثلاثة آلاف نفس.

وهكذا نجد أن نبوءة النبي يوثيل، بانسكاب الروح القدس في الأيام الأخيرة قد تمت. وبدأ بالتالي عصر جديد، هو عصر المسيح، وانتشار بشارة الخلاص المفرحة، عصر حلول الروح القدس على البشر. وسيظل هذا العصر حتى مجيء يوم الرب العظيم المخوف، كما تنبأ النبي يوثيل. أي حتى عودة المخلص الملك المسيح في مجيئه الثاني الباهر العظيم، ليدين المسكونة وليملك إلى الأبد.

فهل تود مستمعي أن ينسكب روح الله القدوس عليك؟ وأن تنجو من دينونة الله العادلة؟ أقبل الآن تائباً عن خطاياك، ومؤمناً بالمخلص المسيح، الذي مات ليكفر عن ذنوبك، وقام ليهبك الحياة الجديدة والخلود.